

الأسطورة والمعنى: مقارنة سيميائية لرواية (الحوات والقصر) للطاهر وطار

الدكتور شريط سنوسي

جامعة مصطفى اسطمبولي معسكر

الملخص

يتناول هذا البحث مقارنة أدبية منهجية تتخذ من التحليل السيميائي أداة لدخول عالم النص الروائي لمساءلته والكشف عن أغواره ومعرفة مقاصده وغاياته، وتفكيك دلائله ورموزه المختلفة. وقصد تقريب هذه الرؤية المقاربتية، اخترت نصاً روائياً متميزاً في طرجه للمضمون الأدبي، لكونه يجنح نحو الاتكاء على الأسطورة كشكل فني يعبر عن مكنونات البشر في تفسيرهم لمختلف الظواهر الطبيعية والحياتية. وتعبّر أيضاً عن فكر الكاتب ورؤيته تجاه مجتمعه.

إنّ النص الذي تم اختياره ليكون أنموذجاً تطبيقياً لهذه المقاربة هو رواية (الحوات والقصر) للروائي الراحل الطاهر وطار. هذا النص الذي يدخل ضمن الأدب العجائبي، باعتباره يقوم على السرد الأسطوري لمضمون القصة وأحداثها وتفصيلها. ومن خلال التعمق في هذا النص قراءة وتحليلاً وتأملاً نستطيع اكتشاف العديد من الدلالات والمعاني المختلفة داخل هذا السحر السردى الأسطوري. ولتحقيق هذه الغاية فإن بحثنا هذا سيقوم على تقريب التحليل السيميائي بالنص الروائي الحوات والقصر، لمكاشفة كلّ الدلالات

والمعاني الممكنة في هذا النص، بغية بلورة رؤية فكرية واضحة عن المقصد العام لهذا النص الروائي المتميز.

الكلمات المفتاحية:

الأسطورة- المعنى- الخطاب- النص- السيمياء- التحليل-
المقاربة- الرؤية- الصراع- الفضاء- الأحداث- الزمان-
المكان- الشخصية.

Abstract

this paper examines the literary approach to the methodology of semiotic analysis tool to enter the world of narrative text of accountability and disclosure of Fathom and know its purposes and objectives, and its subdirectories and its characters different. in order to bring this vision to almkarbetet, choose a distinguished novelist of literary content, because it tends to lean on the myth as an art form reflects the slice humans in their interpretation of various natural phenomena and life. And also reflect the writer's thought and vision towards the combined. The text that was chosen to be a practical model for this approach is novel (HAWAT and minors) of the late novelist Tabar wattar. This text is included in the literature the miraculous, as the legendary narrative content of the story and the events and details. Through this text read in depth analysis and reflection we can discover many hidden meanings and connotations in this legendary narrative charm. To this end, we will bring this semiotic analysis with novelist HAWAT and minors, for the showdown each possible meanings and connotations in this text, in order to clear the intellectual vision of the destination to the distinguished novelist...

توطئة:

شهدت الرواية الجزائرية حركية كبيرة منذ فترة السبعينيات إلى يومنا هذا. وهذه الحركية أهلكها لأن تكون الجنس الأدبي الأبرز من حيث الانتشار والذيع. كما أهلكها

لأن تحتلّ مكانة مرموقة ضمن الرواية العربية بشكل عام. وتعود هذه المكانة إلى تعاقب أجيال من الكتّاب والأدباء، أسهموا في صياغة نتاج روائي، له قيمة أدبية كبيرة في أوساط الجماهير الشعبية على غرار: أحمد رضا جوحو، نور الدين بوجدر، محمد منيع، عبد المجيد الشافعي، كاتب ياسين، محمد ديب، مالك حداد، مولود فرعون، مولود معمري، رشيد ميموني، آسيا جبار، عبد الحميد بن هدوقة، الطاهر وطار، رشيد بوجدر، جيلالي خلاص، أمين الزاوي، عبد الملك مرتاض، أحلام مستغانمي، محمد ساري، ياسمين خضرة، بشير مفتي، أحميدة العياشي.... وغيرهم من الروائيين.

فهؤلاء الكتّاب، يرجع لهم الفضل فيما وصلت إليه الرواية الجزائرية عبر مسيرتها الطويلة، حيث اتخذت مسارات عديدة من حيث المعالجة والطرح المضموني للأفكار والمواضيع، وهذا بفضل كتاباتهم وتجاربهم الإبداعية التي صاغوها في مراحل متعددة، راغبين في ذلك، خلق أشكال روائية، تكون في مستوى تطلعات الفئات الاجتماعية الجزائرية.

ويعتبر الروائي الطاهر وطار واحداً من أبرز الكتّاب الذين أفادوا مسيرة الرواية الجزائرية بفضل نتاجاته الروائية التي ألّفها عبر مسيرته الإبداعية، مثل: اللالز (1974)، الزلزال (1974)، عرس بغل (1978)، العشق والموت في الزمن الحراشي (1980)، الحوات والقصر (1989)، تجربة في

العشق(1989)، الشمعة والدهاليز(1996)، الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي(2003)، الولي الطاهر يرفع يديه بالدعاء(2004). وعلى ضوء هذه النتاجات الأدبية التي تمثل رؤية الكاتب في إعادة تشكّل الواقع الجزائري، والتي بيّنت مدى تفاعله مع قضايا مجتمعه، نستطيع القول إن الأديب الطاهر وطار يعدّ من أحسن الكتّاب تحكماً في تقنيات الكتابة الأدبية على وجه العموم والروائية على وجه الخصوص، فهو " يمتلك قدرة عالية على التعبير الفني الجميل الخصب المركز خاصة ما كان منه في موضوع السياسة، فهي موضوعه الأثير، الطاغى على كلّ أعماله"(شريط، أ.ش.1998: 128).

ففي جلّ نتاجاته الإبداعية التي كتبها، نلاحظ ذلك البناء المحكم الذي تمتاز به نصوصه الأدبية، والتي استطاعت أن تعكس الواقع الجزائري بمتناقضاته وتحولاته الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والتاريخية التي شهدتها في مختلف الحقب الزمنية.

والممتنع لمسيرته الأدبية سيلاحظ دون شك ذلك الثراء والتنوع الذي طبع مجمل كتاباته، فقد استطاع بحكم ثقافته الواسعة وإطلاعه الشامل على مختلف الآداب العالمية والتجارب الروائية الكبيرة والرائدة، أن ينوّع في مواضيعه وقضاياها التي يريد معالجتها. هذا ما يذهب إلى تأكيده الروائي واسيني الأعرج في قوله: " لقد استطاع الطاهر وطار بتجربة ثورية جيدة، وهو بلا شك "يكتب بنفس تقديمي

واضحاً لا يحتاج إلى تزكية أو شهادة إثبات "أن يفتح مرحلة جديدة، لتطور الواقعية الاشتراكية في الرواية الجزائرية ذات التعبير العربي، مستفيداً من ثقافته التراثية والحديثة الجديدة، ومن واقعه الذي يعيشه بعمق بحكم عمله السياسي كمراقب في الحزب، والذي كوّن لديه القناعة التاريخية التي تعتبر أن الفن ليس مجرد تعبير عن الواقع، بل هو أداة فعّالة لتغييره" (الأعرج، و. 1989: 30).

لذا فقد جاءت أعماله متعددة الرؤى ومختلفة الطروحات، ومتنوعة المضامين. فمن رواية (اللاز) التي عالج فيها الأحداث التي صاحبت الثورة التحريرية، إلى (العشق والموت في الزمن الحراشي) التي هي امتداد لرواية (اللاز)، إلى (الزلزال) التي جاءت تجسيداُ للتحوّلات الزراعية التي حدثت في الجزائر، مروراً ب: (عرس بغل) التي تناولت الواقع الاجتماعي الجزائري بكل تناقضاته وسلبياته، والتي اتخذت منحى واضحاً في الكشف عن انتهازية وتذبذب البرجوازية (دوغان، أ. 1996: 100)، إلى (الحوات والقصر) التي تضمنت في ثناياها تجسيد ذلك الصراع الطبقي السائد بين مختلف الطبقات الاجتماعية، والذي ولّد هوة سحيقة بفعل هذا التصادم والتناقض الذي يزداد يوماً بعد يوم، وصولاً إلى (الشمعة والدهاليز)، ف(الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي)، ف(الولي الطاهر يرفع يديه بالدعاء)، حيث جنح المؤلف في هذه الروايات إلى استعراض أهم المحطات البارزة

والمواقف الأساسية التي عرفتها الجزائر، سواء على الصعيد الاجتماعي أو السياسي أو الاقتصادي.

وإذا كانت هذه الأعمال الروائية اختلفت فيما بينها من حيث الدلالات والمصادر الفنية والفكرية التي استقى منها الطاهر وطار مواضيعه، فإن التراث الشعبي شكّل مصدراً فكرياً أساسياً بالنسبة للمؤلف، وكان له حضور فعّال ومتميز في بعض أعماله الإبداعية. وقد تجسّد هذا الحضور في تلك الأشكال الشعبية التعبيرية التي وظفها المؤلف بعناية فائقة وبدراية كبيرة من أمثال شعبية، وأساطير، ومعتقدات، وشخصيات تراثية، ليعمّق بها تجربته الروائية، ويجسّد رؤيته الأدبية والفنية إلى التراث الشعبي. ويتخذ في الوقت نفسه رموزاً ودلالات إسقاطية على البيئة الجزائرية.

رمزية الأسطورة ودلالاتها في الرواية:

تمثّل رواية (الحوات والقصر) انعطافة بارزة في مسيرة الطاهر وطار الروائية، فقد تضمّنت هذه الرواية شكلاً مغايراً في الطرح والمعالجة، إذ أنها جاءت في شكل أسطوري يغلب على أحداثها الطابع الغرائبي والعجائبي. لتستعرض تلك المواقف التي تجسّد معاناة أغلبية الجماهير التي تناضل من أجل تحسين أوضاعها المادية. فالرواية تحكي عن حياة صياد بسيط يقرّر ذات يوم أن يهدي الملك هدية متمثلة في سمكة كبيرة اصطادها في يوم من الأيام، ليعبّر له عن حبه وامتنانه له ومساندته له، جرّاء محاولة الاغتيال التي تعرّض لها الملك، عندما كان يتجول في غابة الوعول.

ولكي تكون فكرة علي الحوات تعبيراً عن كلّ أفراد القرى السبع المشكّلة للمملكة، فقد استشار علي (بطل الرواية) قبل تنفيذ عملياته هذه، كلّ القرى، بدءاً من قريته (التحفظ) إلى قرية التصوف إلى العبادة، إلى الطاعة والولاء، إلى قرية بني هرّار إلى الحظّة، وصولاً إلى قرية الأعداء. ونظراً لطبيعة هذا العمل البطولي، والذي ينمّ عن الحس الوجداني الذي يتمتع به علي الحوات، فقد رحّبت مجمل هذه القرى بالفكرة، وقرّرت مساعدة علي الحوات بتقديم له مجموعة من الهدايا لتسليمها للملك. فينطلق على الحوات في رحلته إلى القصر، ولكن أثناء هذه المغامرة يبدأ في اكتشاف العديد من الأمور الغريبة، كمطالبته عند مدخل القصر بتقديم رشوة للحاجب من أجل الدخول، ثم أخرى إلى رئيس الحرس، فكبير المستشارين. وعند اجتيازه لباب القصر تُسرّق منه السمكة، وتُقطع يده، ويُرمى إلى الخارج. فيعيد علي الحوات الكرة مرة ثانية، ويقرّر اصطيد سمكة أخرى، لكنه يقع له نفس ما وقع له في المرة الأولى، إذ تُؤخذ منه السمكة وتُقطع يده الثانية، ويُطرّد خارج القصر. لكنه لم ييأس وقرّر مواصلة عمله حتى يصل إلى القصر. لكنه يفقد في المرة الثالثة لسانه، وفي المرة الرابعة عينيه... إلى أن يكتشف الحقيقة، والمتمثلة في استحواذ إخوته (سعد ومسعود وجابر) على القصر بعد قتلهم للملك.

فمن خلال هذه المغامرة التي أصرّ علي الحوات على تنفيذها، يبدأ وعيه ينفّث على معرفة العديد من الأمور المتعلقة بالقصر وعلاقاته بالقرى وأفرادها، ومجمل المشاكل التي تعاني منها هذه القرى. عندها تيقن علي الحوات أن سبب هذه الأحداث والمشاكل التي تعرّض لها، تعود بالدرجة الأولى إلى عدم توحيد القرى وتباعدها عن بعضها البعض، ممّا ولّد لها الكثير من مظاهر البؤس والشقاء والمعاناة.

ومن ثم فإن علي الحوات بعد هذه المغامرة العجيبة تحوّل من إنسان بسيط يريد أن يهدي سمكة إلى الملك، إلى بطل خارق يريد اكتشاف أسرار القصر، وفي الوقت نفسه توحيد القرى السبع، والقضاء على كلّ أشكال القسوة والمعاناة التي تعاني منها، بعدما اكتشف من خلال اقترابه من قاعة الملك بأن الأصوات المنبعثة من القاعة ما هي إلاّ أصوات إخوته الثلاثة (سعد ومسعود وجابر) الذين تحوّلوا مع مرور الوقت إلى مجرمين، يزرعون الرعب في كلّ أرجاء البلدة (الأعرج، و.1986: 576). فقد قتلوا الملك واحتلّوا مكانه، ونشروا الخوف والرعب بين أوساط سكان المملكة. في هذا الشأن يقول الباحث السوري نضال الصالح عن هذه الرواية: "تعدّ رواية الحوات والقصر أكثر مصادر الدراسة تعبيراً عن المرجعية السياسية للظاهرة، ليس بسبب إفصاح وطار نفسه، في حوار معه، عن لجوئه إلى الأسطورة للتعبير عن وطأة الواقع السياسي الذي ينيخ بكلّ كنهه على أجزاء من الجغرافية العربية فحسب، بل لأن الرواية نفسها، وبرمتها،

ترمز إلى حكاية الشعب المدوّخة مع السلطة في الوطن العربي، حكاية علي الحوات الذي حاول الوصول إلى القصر حاملاً لسلطانة سمكة كبيرة تعبيراً عن غبطته بإخفاق المثلثين في اغتياله وهو يمارس الصيد، والذي ما لبث أن اكتشف أن رجال هذا القصر ليسوا سوى حفنة من اللصوص وقطاع الطرق والقتلة والسفاكين والمجرمين: جابر، وسعد، ومسعود، إخوته الثلاثة، ونقيضه، الذين اتخذوا من الغابة وكرماً لهم ينطلقون منه لارتكاب المزيد من الشرور والآثام، بعد أن تطلّخت أيديهم بدماء الأطفال والعجائز والفقراء" (الصالح، ن. 2001: 72).

وبعد اكتشاف علي الحوات لهذه الحقائق المؤلمة، تُقرّر كلّ القرى الالتفاف حول علي، من أجل وضع برنامج يستهدف توحيد القرى فيما بينها، لغرض الوقوف في وجه المظالم والعوائق التي تقف في وجهها، والتعاون من أجل تحقيق العدل والمساواة بين كلّ القرى.

سيميائية الخطاب الروائي:

يشكّل التحليل السيميائي أداة متميزة في يد الناقد والباحث من أجل سبر أغوار الخطابات الأدبية، بغية تحليلها ومعرفة معانيها، وبالعودة إلى المرجعية الأساسية لرواد السيميائية نجد العديد منهم ركّز على تحليل الخطابات النصية، سواء كانت أسطورية أو سردية أو شعرية أو مسرحية. فرولان بارت اعتمد على خطاب الأسطورة لكونها "عبارة عن منظومة اتصال. إنها رسالة. ومن هنا نرى أن

الأسطورة ليست موضوعاً ولا مفهوماً ولا فكرة. إنها صيغة من صيغ الدلالة. إنها شكل... (بارت، ر. 2012: 225). لذلك نجده عمداً في تطبيقاته السيميائية إلى تحليل العديد من الأساطير. أما غريماس فقد دعا إلى التقييد "في الدراسة بالنص، فقط، كل النص، ولا شيء غير النص أو خارج النص" (عزام، م. 1996: 81)، أي أنه يدعو إلى التركيز على النص كبنية مغلقة، دون الاستتجاد بما يحيط بالنص من ظروف ذات علاقة وثيقة بصاحب النص، وبيئته المحلية. أما تودوروف فقد اعتبر في تحليله للنص الأدبي، أن هذا الأخير هو "نزهة يقوم بها المؤلف بوضع الكلمات ليأتي القراء بالمعنى" (ايكو، أ. 2004: 22). إنها دعوة صريحة إلى التركيز على القارئ في قراءة وتأويل النص واستخراج دلالاته.

انطلاقاً من هذه المفاهيم المركزة على أهمية النص في علاقته بالقارئ، سنحاول قراءة نص (الحوات والقصر) قراءة سيميائية.

01. العنوان:

يشكل العنوان عتبة من عتبات النص. وانطلاقاً من هذه العتبة نستطيع الدخول إلى عالم الرواية بكل تفاصيلها. وهذه الأخيرة تبدأ من العنوان، الذي غالباً ما يحيل على معنى معين يهدف إليه الكاتب. والعنوان كما يرى الناقد المغربي جميل حمداوي "هو النص، والعلاقة بينهما علاقة تفاعلية وجدلية، وهو كذلك بؤرة النص، وقيمتها الكبرى التي يتمحور حولها. وما النص إلا تكملة للعنوان، وتمطيظ له،

عبر التوسع فيه، وتقليبه في صيغ مختلفة" (حمداوي، ج. 2013: 66). وعليه فإن عنوان الرواية يتكون من لفظتين، هما: (الحوات)/(القصر). ودلالة الحوات (أو الصياد) تعني أو ترمز إلى الشعب، خصوصاً وأن مهنة الصيد أو (صفة الحوات) في المفهوم الشعبي مرتبطة أساساً بالفئات الشعبية البسيطة، وأنّ علي (بطل الرواية)، والذي يحمل صفة الحوات، ينتمي إلى هذه الفئات المحرومة.

هذا ما نستنتجه من خلال الحوار التالي:

قاطعهم أحدهم (مجموعة من الحواتين)، فانبرى آخر يردد: موقف السلاطين والأمراء، وكلّ العظماء واضح من الصيد، إنهم بطبعهم ميالون إلى الجري وراء الأشياء، ولا يواجهون الأمور، مثلنا ثم يروحون يحاولون التغلب عليها. هذا التفسير سياسي.

قال آخر:

نعم سياسي، القنص فروسية ورياضة، بينما الاصطياد صناعة ومهارة يدوية، وهذا من اختصاص الرعية. هذا كلّ ما في الأمر، فلمّ الجري والمواجهة وغير ذلك من العبارات السياسية (وطار، ط. 2004: 07).

وبالتالي فإن كلمة الحوات تحيل مباشرة في معناها الدلالي إلى الشعب. أما القصر فيرمز إلى السلطة/النظام. ومن خلال إدراكنا لهذه الكلمة نستحضر عالم القصر وما يتضمّنه من معالم السيادة المرتبطة بالقوة والقهر والاضطهاد وغيرها من المصطلحات ذات الصلة الوثيقة بمعاني السلطة.

إنّ العنوان في تركيبته اللفظية له سحر عجائبي، فهو يحيل إلى عالم الأساطير وحكايات ألف ليلة وليلة، باعتباره يتكون من لفظتين أساسيتين، تعبّران عن الأجواء العامة لقصة الرواية. هذا ما يؤكّده الناقد مخلوف عامر في دراسته لهذه الرواية، حيث يقول: "والعنوان ينبئ أيضاً عن عجائبية تذكر بـماض سحيق كان القصر فيه محل أسرار وغرائب على نحو ما نجده في أجواء "ألف ليلة وليلة" وما شابهاها. ولأن الطاهر وطار لا ينقل الحكاية بعينها، ولا يكرّر مجموعة حكايات بقدر ما ينشئ حكاية أخرى لعلّها تمتح من مصادر حكاية متعددة، ولكن لتمييز منها وتختلف" (عامر، م. 2005: 163). وحتى وإن كانت قصة الرواية هي عبارة عن أسطورة، إلا أن القارئ من خلال العنوان يدرك دلالية الأجواء التي ستتحدث عنها الرواية، وهذا ما يؤدي إلى تشويق القارئ للدخول إلى عالم الرواية.

وسبب نزوع الطاهر وطار نحو اتخاذ الأسطورة قالباً تعبيرياً لطرح فكرته الأساسية، هو أنها "أصبحت اليوم نظاماً للتواصل، ولن تعد تصوراً أو فكرة، بل أصبحت شكلاً ومعنى. ولم تعد تعرف بمادة رسالتها، بل أصبحت تعرف بالطريقة التي تنقل بها هذه الرسالة" (عزّام، م. 1996: 43). وهذا ما هدف إليه الطاهر وطار في روايته هذه، حيث أفرد موضوعه المرتبط بشائبة الصراع بين الخير والشر، انطلاقاً من جدلية السلطة والشعب، في قالب أسطوري متضمناً قصة حكاية غريبة لتمرير رسالته الفكرية تجاه الواقع

الجزائري وما عايشه من صراعات وانقسامات عديدة على المستوى السياسي والحزبي والإيديولوجي.

2. الأحداث:

إنّ الرواية مليئة بالأحداث المثيرة والتي صاغها المؤلف في قالب قصصي أسطوري بغية إعطائها بعداً رمزياً بعيداً عن التحليل المباشر والتصريح الواضح الذي يسهل فهمه واستيعابه. فالطاهر وطار اتخذ الأسطورة قالباً أدبياً تعبيرياً لصياغة قصة ذات معالم ومعاني في غاية الأهمية تتمثل في ثنائية السلطة والرعية، والصراع الدائر بينهما. ومن أجل توضيح هذه الثنائية راح المؤلف ينسج قصة من أجل معالجة فكرته الرئيسة. وقد اختار لهذه القصة أحداثاً متعددة لكي تساهم في توضيح الفكرة. فقد اختار بطله (علي الحوات) من عامة الشعب وهو شخص فقير يمتن هواية الصيد، ويحب أهل قريته، وغالباً ما يتصدق عليهم ممّا يصطاده من أسماك، وهذا دليل على طيبة الشعب وتعاونه وتكافله فيما بين أفرادهم. وحتى مهنة أو هواية الصيد التي اختارها المؤلف، لها دلالة على الصبر والإرادة والعزيمة لدى الفرد أثناء عملية الصيد. وهذا ما يبيّن أيضاً السمات التي يتصف بها الشعب، وما علي الحوات إلا عينة من هذا الشعب الصبور والمهادن والمتسامح والكريم. في هذا الشأن يقول واسيني الأعرج: "وقد اختار الطاهر وطار نموذجاً الأدبي، في اعتقادي لسببين:

1/ أن علياً، إنسان نقي من حيث جوهره، وغير متسخ اجتماعياً، ويمتلك كافة إمكانات التطور في الاتجاه الصحيح، فهو مادة خام قابلة للتشكل.

2/ هو من فئة البورجوازية الصغيرة الطموحة إلى تغيير مواقعها نحو الأحسن بدون السقوط" (الأعرج، و. 1989: 123).

كما أن الطاهر وطار في تشكيل روايته اعتمد على وضع مجموعة من القرى تشكّل في النهاية معالم المملكة، وكلّ قرية أعطاها اسماً يحمل دلالة في مضمونه. فهذه القرى هي: التحفظ، الاحتجاج، التساؤلات، بني هرّار، التصوف، الحظّة، الأعداء. ولكلّ قرية من هذه القرى قصة مع القصر، فقرية التحفظ والذي ينتمي إليها علي الحوات، تمتاز بالصرّاحة والطباع المكشوفة، أما قرية الولاء والطاعة، فهي دائماً متحفظة في قراراتها وسلوكاتها. أما قرية الاحتجاج فهي ترمز إلى عدم المهادنة والوقوف ضد أفعال ونوايا القصر، فهي غالباً ما تحتج على مواقفه وسلوكاته، خصوصاً حاشية الملك التي تشتهر بالقوة والاضطهاد والجبروت والقتل والابتزاز.

بينما قرية التساؤلات فهي مهادنة نوعاً ما، بالرغم من أنها دائماً في تساؤل مستمر حول العديد من القضايا المرتبطة بالقصر. أما قرية بني هرّار فهي ترمز إلى الشر، حيث تمتاز بالقتل والجريمة. بينما قرية التصوف فهي ترمز إلى الطهارة والعبادة والإخلاص، وغير مكترثة بما يقع للمملكة بشكل

عام. أما قرية الحظّة وهي قرية المخصّيين فهي مهادنة وتدين بالطاعة والولاء للقصر. بينما قرية الأعداء فهي قريبة من القصر، وتعرف أسرارها وخصوصياتها، "فهي تتعاطى السياسة بوعي كبير، لأنها أقرب قرية من القصر، وبالتالي أكثر تعرضاً للاستغلال، وأقرب القرى كلّها إلى إدراك جوهر القصر" (الأعرج، و. 1989: 125). وبناء على ذلك فقرية الأعداء في خلاف دائم مع القصر، نظراً لسلوكاته السلبية تجاه الرعية. والقصر يحسب لها ألف حساب، وعيونها دائماً منفتحة على ما يجري داخلها.

لذلك عمد الطاهر وطار إلى تبيان وتوضيح قصص هذه القرى من خلال رحلات علي الحوات. وهي رحلات تشبه رحلات السندباد البحري في ألف ليلة وليلة، ورحلات أوديسيوس في الأوديسا. حيث نجد علي الحوات قبل أن يقرّر التوجه إلى القصر، أراد أن يشرك أهل القرى في هذه الرحلة، حتى يكون العمل الذي يقوم به علي الحوات عملاً جماعياً وليس فردياً، يعبر عن رد فعل كلّ القرى. وهذا التشاكر يعتبر في حدّ ذاته دلالة رمزية تبين سرّ العلاقة القائمة بين القصر والقرى. فعلي الحوات عندما طلب من أهل القرى إمداده بالهدايا، إنّما أراد أن يشرك جميع الأفراد في هذا العمل الذي يحمل طابع الوحدة والتكاتل والحب والامتنان لجلالة الملك هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى أراد أن يعرّي واقع هذه القرى وينقل ظروفها وانشغالاتها إلى الملك. وبالتالي فإن الدلالة التي نستنتجها من هذه الرحلات هو أنها

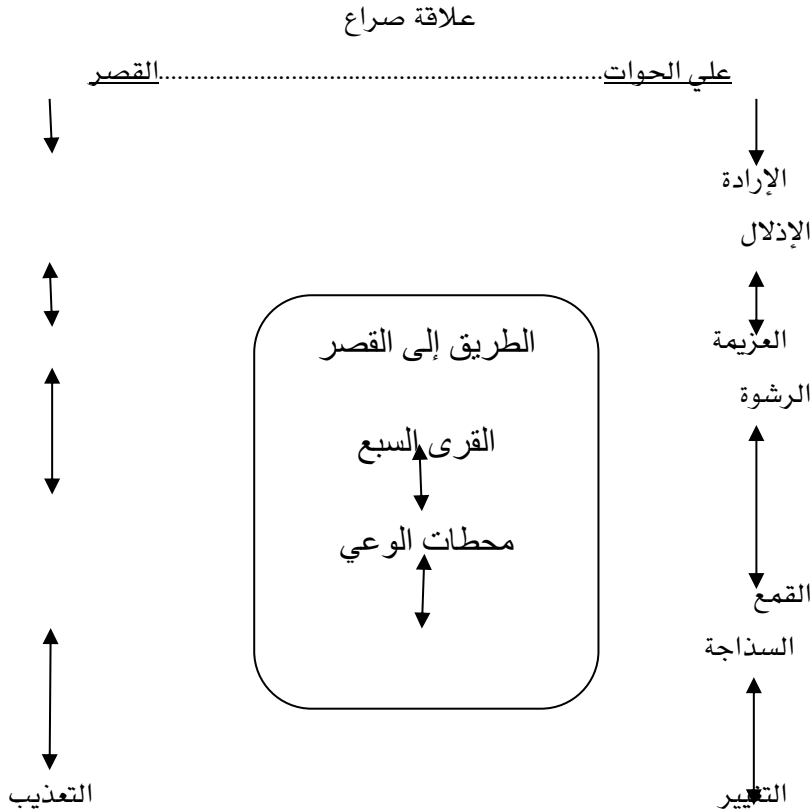
طريقة لكشف علاقة القصر والحاشية بالرعية، وهي علاقة سيئة كما أظهرتها الرواية، وسلوك علي الحوات يبيّن طبيئته وعزيمته وإرادته تجاه الملك والقصر عمومًا، ولو أن العلاقة غير متكافئة، فهي تروم عن علاقة صراع وتضاد بين علي الحوات/القري، والقصر/الحاشية.

فعلي الحوات يرمز إلى الخير في أسمى معانيه، بالرغم من المصائب والعوائق التي تعرّض لها في رحلاته (قطع الأيدي، اللسان، فقأ العينين)، إلا أنه أثبت مدى حبه للملك من جهة، وإرادته في التعرف على ما يجري داخل القصر، ومن هُـم الأشخاص المحيطين بالملك. والذين تم اكتشافهم والتعرف عليهم أثناء دخوله إلى القصر من جهة ثانية. حيث تعرّف علي الحوات على إخوته سعد ومسعود وجابر، إذ أنهم قتلوا الملك وحلّوا محله، وراحوا يقتلون ويسبون الرعية ويثيرون الرعب والفرع داخل المملكة. وحتى الأفعال التي تعرّض لها علي الحوات هي من تدبير إخوته.

وهنا يبرز طبيعة الصراع الذي كان ينمو داخل الرواية وهو صراع بين الخير (يمثله علي الحوات) وبين الشر (يمثله سعد ومسعود وجابر). وهنا أيضاً تكمن دلالة ورمزية الرواية والأسطورة معاً، فهي تهدف إلى إبراز التضاد والنفاق القائم بين حاشية الملك والرعية. في هذا الشأن يقول واسيني الأعرج: "ومع ذلك كلّه فعلي الحوات، رجل بسيط، صنّعته الظروف التاريخية، وصنّعته الرعية. فهو بالنسبة لها، بمثابة الحلم القادر على التغيير الاجتماعي وتبديل الأوضاع"

الأعرج، و.1986: 586). وعليه فعلي الحوات كان من خلال الرواية مصّراً على مكاشفة نفاق السلطة من خلال علاقتها بالقرى، وهذا الإصرار مرده عزيمة علي الحوات في التعبير عن واقع القرى مجتمعة، ومحاولة إسماع صوتهم لدى الملك وحاشيته. ولكن كان دائماً يتعرّض إلى العقوبة والإهانة من قبل حاشية الملك.

ومن خلال الترسيم التالية تتبيّن لنا طبيعة الصراع (عامر، م.2000: 65):





علاقة تناقض

الخير الشر

فهذه الترسيمية تبين بكل وضوح طبيعة ومضمون الرواية، حيث نجد أن الصراع يبرز من خلال علاقة علي الحوات بالقصر وطبيعة الصراع يتجلى من خلال إصراره على دخول القصر، وفي المقابل نجد أفراد الحاشية يقابلونه بكل ألوان العذاب والإهانة والقسوة. وهي سمات كلها تشكل البنية الأساسية للصراع القائم في الرواية، والمتمثل أساساً في الصراع بين الخير والشر.

3. الشخصيات:

تحتوي الرواية على شخصيات عديدة تشكل منظومة الرواية ككل، لكن الشخصيات الرئيسة في الرواية هي شخصية علي الحوات، باعتبارها جوهر الرواية، هذا بالإضافة إلى شخصيات: الملك، العذراء، سعد، ومسعود، وجابر، والصيادين، وبعض الشيوخ المنتمين إلى القرى المختلفة المشكلة للمملكة.

أ. علي الحوات: شخصية بسيطة في تركيبها وهي تحمل معاني الحب والعزيمة والإرادة والخير، وهي ترمز إلى الشعب في بساطته وحبه للملك. وحتى اسم علي يعنى الاستعلاء والترفع وحب الصعود نحو الأعلى من خلال السلوكات والمواقف التي كان يطمح إليها، فالشعب دائماً في المقام

الأول، بحكم أن السيادة والسلطة له في منظور المؤلف والنظرة الأنثى لطبيعة الحكم. وحتى سلوكات علي الحوات تعكس طبيعة هذه الشخصية في أفكارها ومواقفها. فهو شخصية بسيطة فقيرة ونقية ومحبة للجميع، تتشد الحب والسلام، تعمل كل ما في وسعها من أجل العمل على تحقيق السعادة والفرح للجميع. وهذه الصفات نستنبطها من خلال تركيبته داخل الرواية، ومن خلال أيضاً تحركاته وأفعاله ومواقفه.

ب. الملك: بالرغم من أنه غائب كشخصية فعّالة ومؤثرة في الرواية، إلا أن ذكره في الرواية يرمز إلى القوة والسلطة.

ج. العذراء: امرأة من قرية التصوف والعبادة، ترمز إلى الجرائر، فهي لازلت عذراء ونظيفة وجميلة، لذلك قرر أهل القرية تزويجها بعلي الحوات.

د. جابر: شقيق علي الحوات، مجرم، قاتل، لص، سارق، يتصف بالقوة والجبروت، صعلوك عرييد يعيش في الغابة، أصبح بعد قتله للملك رفقة إخوته، واحداً من زعماء القصر والمملكة بعد الاستيلاء على الحكم. وحتى اسم جابر له دلالة على الجبروت والقوة والظلم.

هـ. سعد: بالرغم من أن الاسم يحمل معنى الفرح والسعد، إلا أنّ شخصية سعد في الرواية جاءت عكس ذلك، فهو شبيه بأخيه جابر، مجرم وقاتل ولص وسارق، فقد دفعته قوته وجبروته وقسوته إلى معاقبة أخيه علي بشتى أنواع العذاب.

ومسعود: هو كذلك شقيق علي الحوات، اتخذ الجرم والقتل صفة أساسية يمتنها ويحقق من خلالها غاياته وأهدافه وأهداف إخوته، امتاز بالبطش والقوة والجبروت. إن اسم مسعود يعني المحظوظ في الدلالة الفكرية لهذا الاسم، إلا أن الرواية أظهرت شخصية مسعود بالشخصية السلبية والقبيحة نظير الأعمال التي اقترفتها في حق أهل القرى وفي حق أخيه علي الحوات.

ز.مجموعة الشيوخ: في كل قرية يذكر لنا السارد شخصية هؤلاء الشيوخ، للتعبير عن أفكارهم ومواقفهم، وهذه الشخصيات ترمز إلى الحكمة والتعقل والاتزان في طرح وجهات نظرها نحو علي الحوات. وهي ترمز إلى فئات الشعب المختلفة.

ح.مجموعة الصيادين: يشاركون علي الحوات في سرد قصة الغدر بالملك، هؤلاء يمثلون كذلك فئات الشعب في بساطتهم وإرادتهم وعزيمتهم في النضال والصبر ومواجهة الصعاب.

4.الفضاء:

بما أن الفضاء أو المكان أو الحيز بحسب تعبير نقاد الرواية، يعتبر عنصراً ضرورياً في المعمار الروائي، باعتباره يشكل مصدر وقوع الأحداث وسرد وقائع الشخصيات. فإن الأمكنة تعددت في رواية (الحوات والقصر) ما بين الوادي، والغابة، وساحة القرية، والقصر. وكل فضاء من هذه الفضاءات له دلالة في تركيب الرواية، فالوادي يرمز إلى

الرزق والخير الذي يقتات منه أهل القرى، خصوصاً وأن علي الحوات وأصحابه يعيشون على مهنة الصيد، وحتى الأسماك التي اصطادها على الحوات لجلالة الملك كانت من هذا الوادي، لذلك سمي بالوادي الأبكار، أي الوادي المتجدد المعطاء. فهو لا يبخل على أهل القرى في منحهم ما يحتاجونه من أسماك.

أما الغابة فهي رمز للشرور والفواجع، حيث جلالة الملك تعرّض للاغتيال في غابة الوعول. ومن ثم شكّلت الغابة مكاناً مفضلاً للصياد والمجرمين، وحتى إخوة علي الحوات (سعد ومسعود وجابر) اتخذوها مقراً لهم في البداية. بينما تمثل ساحة القرية الفضاء الواسع للتجمع والحديث في شؤون القرية والمملكة. ففي الساحة كان علي الحوات يجتمع مع أهل القرى السبع لشرح لهم مبادرته نحو القصر. وفيها أيضاً كان علي الحوات شاهداً على ما كان يتعرض له الأهالي من قتل واضطهاد وتكيل واغتصاب من طرف الغزاة، سواء الغرباء أو حاشية الملك الذين عاثوا في الأرض فساداً. أما بالنسبة للقصر فهو يرمز إلى السلطة الحاكمة، وداخله نرى المعاملات التي كانت تتم من طرف الحراس من فساد وظلم وبيروقراطية واضطهاد، وغيرها من المعاملات السيئة، خاصة وأن علي الحوات كان شاهداً على هذه الممارسات.

5. الزمان:

إنّ زمن الرواية مستمدّ من عالم الأساطير، وبالتالي فهو زمن الماضي (مطلق غير محدد)، وهذا في حدّ ذاته دلالة على

تجنب التصريح بالأحداث الآنية والحديث عمّا يجري في الواقع من قضايا لها أشد الارتباط بالمجتمع، سواء على المستوى السياسي، أو الاجتماعي، أو الاقتصادي، أو الثقافي. ومن ثم فإنّ المؤلّف استثمر الأسطورة للتعبير مجازاً عن هذه الوقائع، مستعملاً الزمن المطلق، للانفلات من المسألة، والهروب من مواجهة التأويل الصريح لأحداث الرواية. هذا من جهة، ومن جهة ثانية فإنّ زمن وقوع الأحداث، تعدّدت بفعل تعدّد واختلاف طبيعة الأحداث. فهناك بعض الأحداث تقع في النهار كالصيد، وتجمع علي الحوات بأهالي القرى المختلفة، وهناك بعض الأحداث تقع في الليل ومع طلوع الفجر كسفر علي الحوات إلى القصر. ولو أن معظم الأحداث كانت تقع في النهار نظراً لطبيعة هذه الأحداث المرتبطة بحياة أهالي القرى، وأيضاً طبيعة الأعمال التي كان يقوم بها علي الحوات، خصوصاً رحلاته وأسفاره نحو القرى السبع والتقاءه بأفرادها، وأيضاً مغامراته داخل القصر.

خلاصة القول:

بعد هذه الرحلة البحثية داخل عالم رواية (الحوات والقصر)، نستطيع القول إن أجواء الرواية حملت تفاسير عديدة أحالت على عدة تأويلات أدبية انطلقت من نسيج الرواية في حدّ ذاتها، كما أن التحليل السيميائي الذي كان ثورة أدبية وفكرية في عالم الأدب، ساهم في فتح عوالم الرواية والولوج في أعماقها من أجل الوصول إلى تفكيك بنية النص وتحليل العلامات الموجودة ضمن تراكيبه. فهذا

التحليل ساعد على الانفتاح على الرواية والتعرف على مكان النص ومجمل المضامين والدلالات التي حملها. وطبعاً هذا التحليل أو القراءة في عالم السيمياء/الأدب يبقى تحليلاً أولياً لامتناهياً، انطلاقاً من أن القراءات تختلف باختلاف القراء، وسياق القراءة وزمن التلقي، واختلاف التأويلات أيضاً. ومهما قدّمنا من تأويلات لمفاهيم النص وعلاماته تبقى محاولتنا تعبّر عن مجهودنا القرائي والتأويلي الخاص بنا وبرؤيتنا إلى هذا النص الروائي.

المصادر والمراجع:

1. ايكو، أمبيرتو(2004): التأويل بين السيميائيات والتفكيكية، تر: بنكراد، سـمـعيد لبنان/المغرب، المركز الثقافي العربي.
2. الأعرج، واسيني(1986): اتجاهات الرواية العربية في الجزائر(بحث في الأصول التاريخية والجمالية للرواية الجزائرية)، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب.
3. الأعرج، واسيني(1989): الطاهر وطار تجربة الكتابة الواقعية(الرواية نموذجاً)، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب.
4. بارت، رولان(2012): أسطوريات، تر: المقداد، قاسم، دمشق(سوريا)، دار نينوي للدراسات والنشر والتوزيع.
5. دوغان، أحمد(1996): في الأدب الجزائري، دمشق(سوريا)، اتحاد الكتاب العرب.
6. وطار، الطاهر(2004): الحوات والقصر، الجزائر، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية.
7. حمداوي، جميل(2013): دراسات في النقد الروائي بين النظرية والتطبيق، ط01 الرباط(المغرب)، منشورات المعارف.
8. عزام، محمد(1996): النقد... والدلالة نحو تحليل سيميائي للأدب، دمشق(سوريا) منشورات وزارة الثقافة.
9. عامر، مخلوف(2000): الرواية والتحويلات في الجزائر، دمشق(سوريا)، اتحاد الكتاب العرب.
10. عامر، مخلوف(2005): توظيف التراث في الرواية الجزائرية(بحث في الرواية المكتوبة بالعربية)، وهران(الجزائر)، منشورات دار الأديب.

11. الصالح ، نضال(2011): النزوع الأسطوري في الرواية العربية ، دمشق(سوريا) ، اتحاد الكتّاب العرب.

12. شريط أحمد شريط(1998): تطور البنية الفنية في القصص الجزائرية المعاصرة(1947/1985)، دمشق(سوريا) ، اتحاد الكتّاب العرب.